وأنشد لأُسامة ابن منقذ: [من الطويل]

ولما التقينا بَعْدَ بُعْدٍ تحدَّرت ... دُموعي إلى أن كدتُ بالدَّمْعِ أغرقُ
فقلتُ لها يا عينُ هذا لقاؤنا ... فقالتْ ألسنا بعده نتفرَّقُ

وكَتَبَ على تقويم: [من البسيط]

إذا أردت اختيارَ السَّعْدِ فيه فقلْ ... على الذي في يديه السَّعْدُ اتَّكِلُ
سَلِّمْ إلى الله فيما أنتَ فاعِلُهُ ... فما إلى النَّجْمِ لا قَوْلٌ ولا عَمَلُ

ورثاه سعد الدِّين مسعود، فقال: [من الوافر]

ألا روَّى الإلهُ ترابَ قَبْرٍ ... حَلَلْتَ به شهابَ الدِّين غازي
وأَسْكنكَ المليكُ جِنانَ عَدْنٍ ... وكان لك المكافئ والمجازي
فَضَلْتَ النَّاسَ مكرمةً وجوداً ... فمالك في البَرِيَّةِ مِنْ موازي
وكنتَ الفارسَ البطلَ المُفَدَّى ... مبيدَ القِرْن في يوم البِرازِ
تُجَنْدِلُهُ بأبيضَ مَشْرَفيٍّ ... وتطعَنُهُ بأسمرَ ذي اهتزازِ

السنة السادسة والأربعون وست مئة

فيها قايضَ الأشرف موسى صاحب حمص تل باشر بحمص مع الملك النَّاصر يوسف [بن الملك العزيز][1] صاحب حلب.

وخرج الصَّالح أيوب من مصر إلى دمشق، وجهَّز العساكر مع فخر الدين بن الشيخ إلى حمص، وسخَّر الفلاحين لحمل المجانيق إلى حمص، فكانوا يحملون عوداً قيمته عشرون درهماً إلى حمص، فيغرم عليه ألف درهم، فخرب الشَّام، وهرب أهله، ونصبوا المجانيق على حمص، وخرج عسكر حلب إلى لقائهم على حمص، وكان الشيخ نجم الدين الباذرائي بالشَّام، فدخل بين الفريقين، ورَدَّ الحلبيين إلى حلب والدِّمَشْقيين إلى دمشق، وعاد الصَّالح أيوب إلى مِصْر مريضاً في مِحَفَّة.

وفيها ولَّى جمالُ الدين بن يغمور فتحَ الدِّين بنَ العدل حِسْبة دمشق، وعَزَلَ النجم بنَ الشِّيرجي.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وتسمى هذه السنة[١] سنة الفقهاء، مات فيها أكثر الحنابلة، منهم التقي بن العِز، و[اسمه][٢] أحمد بن محمد بن عبد الغني الحافظ المقدسي[٣].

كان فقيهاً فاضلاً، مات شابًّا.

وشرف الدين عبد الله بن أبي عمر[٤]، خطيب الجبل، كان صالحاً، سليم الصدر، فقيهاً فاضلاً.

والضِّياء محمد بن عبد الواحد بن أحمد[٥]، أبو عبد الله الحَنْبلي، المَقْدِسي، أخو الشَّمْس البخاري.

كان فاضلاً، صالحاً، عابداً، زاهداً، عمر دار الحديث بالجبل عند الجامع، ووَقَفَ بها الكُتُب، وجمع وألَّف، وسمع الحديث الكثير، وكانت وفاته في جُمادى الأولى، ودُفِنَ بقاسيون.

والضياء محاسن[٦]

كان فاضلاً، فقيهاً، زاهداً، عابداً، [ورعاً][٢]، عارفاً بجميع المذاهب، يقرُّ بها ولا يتعصب على مذهب، وما زاحم أحداً في منصب ولا دُنْيا، ولا أكل من الأوقاف [شيئاً][٢]، وكان يتقوَّت من شكارةٍ تُزْرَعُ له[٧] في حوران، وما آذى مُسْلماً قط، ولا

(١) كذا قال: وهو وهم، لعله من المصنف أو المختصر، والصواب أنها سنة (٦٤٣هـ). فمن ذكرهم من بعد توفوا فيها.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٦٩ ، (وفيات سنة ٦٤٣هـ)، وهو الصحيح في تاريخ وفاته، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٧٤ ، وفيات سنة (٦٤٣هـ)، وهو الصحيح في تاريخ وفاته، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٥) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٧٤ ، وفيات سنة (٦٤٣هـ)، وهو الصحيح في تاريخ وفاته، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٦) له ترجمة في «ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٢٣٤، وقد ذكره أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٧٤-٧٥ ، والذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ١٤٧ في وفيات سنة (٦٤٣هـ)، وهو الصحيح في تاريخ وفاته.

(٧) الشكارة أن تزرع في أرض غيرك، دون أن يتقاضى صاحب الأرض على ذلك أجراً، بل يكون منه حبًّا وتفضلاً. انظر «تكملة المعاجم العربية» لدوزي (الترجمة العربية): ٦/ ٣٣٩ ، و«معجم متن اللغة»: ٣/ ٣٥٥ .

دخل حماماً ولا تنعَّم، وكان له ثوب وعِمامة لبسهما طول عمره، وكان على خيرٍ كثير قَلَّ أَنْ كان بالشام من يماثله في سيرته، أو يعادله في طريقته.

نور الدين رسول صاحب اليمن، قتله مماليكه.

الصَّلاح موسى بن الشِّهاب[١]

كان خَيِّراً، فاضلاً، يحبُّ الفقراء، ويخدم المشايخ، ويمشي في حوائج النَّاس، ويشتري الأسارى، وكان الصَّالح أيوب قد حبسه في مصر [فخلصته من يده بعد اللتيا والتي، وجعلت خلاصه من الصالح ضيافتي وفائدتي،][٢] وكان فطناً يقول الشعر، [وقد رثى العماد الحنبلي].

أبو بكر، الملقب بالعادل بن الكامل

[أخو الصَّالح نجم الدين أيوب، ذكر][٣]، سَعْد الدِّين مسعود [بن تاج الدين شيخ الشيوخ][٣] ابن حَمُّوية [قال][٣]: وفي خامس شوَّال سنة ست وأربعين [وست مئة][٣] جهَّز الصَّالحُ أخاه أبا بكر العادل، ونفاه إلى الشَّوْبك، وبعث إليه الخادم محسن، فدخل عليه الحبس، وقال: السُّلْطان يقول لك: لا بُدَّ من رواحك إلى الشَّوبك. فقال: إنْ أردتم أن تقتلوني في الشَّوْبك، فها هنا أَوْلى، ولا أروح أبداً، فعذله محسن، فرماه بدواةٍ كانت عنده، فخرج، وعرَّف الصَّالح أيوب بقوله، فقال: دَبِّرْ أمره. فأخذ ثلاثة مماليك، ودخلوا عليه ليلة الاثنين ثاني عشر شوال، وخنقوه بشيش علمه، وعلقوه به، وأظهروا أَنَّه شنق نفسه، وأخرجوا جِنازته مثل بعض الغرباء، ولم يتجاسر أحدٌ أن يترحَّم عليه، أو يبكي حول نعشه، ودفن بتربة شمس الدولة.

قال المصنف رحمه الله: سبحان الله الحكَم العَدْل، الذي لا يحيف في قضائه، ولا يحكم عليه أحدٌ في أمرٍ لو قدَّره وقضى به، فإنه لم يطل مدَّة أيوب، لأَنَّه توفي في

---

(١) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ٧٦، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٢٣٥، و«المقصد الأرشد»: ٣/ ١٠، و«المنهج الأحمد»: ٤/ ٢٥١، وقد سلفت ترجمة أبيه في وفيات سنة (٦١٨ هـ).

(٢) في (ت): ثم خلص، وكان فطناً، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

نصف شعبان سنة سبعٍ وأربعين، وقُتِلَ أخوه في شوال سنة ست وأربعين، بينهما عشرة أشهر، رأى في نفسه [فيها][1] العِبَر، وما نفعه الاحتراز والحذر، بعد أن أذاقه الموتُ كؤوسَ حتوفه، قَتَلَ مماليكُه ولدَه تورانشاه بسيوفه.

السنة السابعة والأربعون وستّ مئة

فيها توجه الصَّالح أيوب من دمشق إلى مِصْر في المِحَفَّة مريضاً مُدْنفاً في رابع المحرَّم، ونادى في الناس: مَنْ كان له عندنا شيءٌ فليحضرْ، ويأخذ ما له. فطلع النَّاس إلى القلعة، وأخذوا ما كان لهم.

و[حدثني من شهد الواقعة قال][1]: بينا الصَّالح في مرج الصُّفَّر في المِحَفَّة استغاث إليه رجلٌ على المخلص المغيثي، وقال: اشترى مني غنماً، ولم يعطني شيئاً، فقال: نَكِّسْه من بغلته وخُذْها، فنكَّسه، وأخذ البغلة، فباعها بسبع مئة درهم، واستوفى ماله.

وفيها حُمِلَ عِزُّ الدين أيبك المُعَظَّمي إلى القاهرة تحت الحوطة، وقيل: في سنة ستٍّ وأربعين وست مئة.

وفيها احترقت المئذنة الشَّرْقية بجامع دمشق، وراح للفقراء والمشايخ فيها ودائع وصناديق وأموال كثيرة، وكتبوا إلى الصَّالح أيوب، فأمر بعمارتها.

وفيها توجه النَّاصر داود من الكَرَك إلى حلب.

وورد كتابُ الصَّالح أيوب إلى جمال الدِّين بن يَغْمور بخراب دارِ سامة، وقَطْعِ شجر بستان القَصْر بالقابون، وخراب القَصْر، فتوقَّف ابنُ يغمور، فجاءته كُتُبٌ عِدَّة، فأخرب الدَّار، والقَصْر، وقَطَعَ الشجر.

وفيها مضى الأمجد حسن بن النَّاصر من الكَرَك إلى مِصْر، وسلَّم الكَرَك إلى الصَّالح أيوب في جمادى الآخرة، وأعطاهم مالاً، وأخرج منه عيال المعظم وأولاده وبناته وأُمَّ النَّاصر، وجميعَ مَنْ كان فيه، وبعث إليه ألف ألف دينار، وجواهر، وذخائر، وأسلحة، وشيئاً كثيراً.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).